



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس جوامع الأخبار

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (7)

التاريخ: الاثنين 26/ذو القعدة/1440 هـ

29/تموز(يوليو)/2019 م

- **ملخص الدرس:**
- **الحديث (١٥): "أنزلوا الناس منازلهم"، وفيه:**
 - أن الناس يتفاضلون في الحقوق، وفي المعاملة،
 - وأن ذلك يكون على حسب منازلهم، والمراد أن يعطى كل ذي حق حقه.
- هذا الأصل دل عليه القرآن والسنة وهدى نبينا عليه السلام، وهدى أصحابه الكرام.
- **الحديث (١٦): "من ضار ضار الله به، ومن شاق شق الله عليه".**
 - اشتمل على قاعدتين جامعتين:
 - الأولى: تحريم الضرر بغير المستحق.
 - الثانية: أن الجزاء من جنس العمل.
- فيه الوعيد الشديد لمن فرق جماعة المسلمين وكلمتهم وخالف سبيلهم.
- وفيه الوعيد الشديد لمن أضر بالناس.
- **الحديث (١٧): "اتق الله حيثما كنت، ..." الحديث وقد اشتمل على أربع جمل جامعة:**
 - الأولى: "اتق الله"، هذا حق الله، فأمر بالتقوى وهي: "امتنال الأمور، واجتناب المحظور، والتورع عن الشبهات".
 - الثانية: "حيثما كنت"، أرشد إلى إحسان التقوى وذلك بالمراقبة؛ وهي: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".
 - الثالثة: "وأتبع السيئة الحسنة تمحها".



- هذا حق نفسك عليك، بعد أن أمر بالتقوى، أمر بالتوبة والعمل الصالح، لأن التقى ليس معصوما من المعصية.
- الرابعة: "وخالق الناس بخلق حسن". هذا حق العباد، فبين أن التقوى لا تكتمل إلا بحسن الخلق وهو: "كف الأذى، وبذل المعروف، وبسط الوجه، وأن لا تغضب".



الدرس السابع من شرح جوامع الأخبار

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه؛ أما بعد، فهذا هو **الدرس السابع** من دروس شرح (جوامع الأخبار)، وفيه شرح الأحاديث (١٥، ١٦، ١٧) إن شاء الله تعالى.

« شرح الحديث الخامس عشر »

قال المؤلف رحمه الله:

(عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: " أنزلوا الناس منازلهم " رواه أبو داود).^(١)

ومعناه:

أن تفاضل الناس في الحقوق والمعاملة يكون على حسب منازلهم، فيُعطى كلُّ ذي حقِّ حقه. هذا معناه.

وهذا المعنى من الحكمة ومن العدل، ودلَّت عليه نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾^(٢) أي؛ في الآخرة يجازي أهلَ الإحسان بحسب

إحسانهم، فيتفاضل الناس بحسب أعمالهم وحسناتهم.

٢. وقال سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: (فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ)، وقال الرسول ﷺ:

"صَدَقَ سلمان".^(٣) فأقرَّه الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا يستلزم أن تُنزل كلُّ ذي حقِّ

منزلته.

^١ هذا الحديث ضعيف، رواه أبو داود في سننه: (٤٨٤٢)، وعلَّقه مسلم في مقدمة صحيحه، وضعَّفه الألباني في "الضعيفة": (١٨٩٤)، فهو حديث ضعيف، ولكنه يدل على معنى صحيح،

^٢ [هود: ٣]

^٣ أخرجه البخاري (١٩٦٨)، ومسلم (٦١٣٩).

٣. وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١) فالناس يتفاضلون في العلم، حتى ينتهي العلم إلى الله عز وجل.

٤. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) فالناس يتفاضلون عند الله بحسب التقوى.

٥. وقال ﷺ: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا". وزاد في رواية عند أحمد (٢٢٧٥٥): "يعرف لعالمنا"، أي: يعرف لعالمنا حقه.^(٣)

فهذا فيه إنزال الناس منازلهم، فليسوا في الحقوق سواء، فيُعطى كل ذي حقٍ حقه. فليس من الحكمة ولا من العدل أن يُعامل الكبير كالصغير، ولا الوالدان كسائر الناس، ولا أن يُعامل العالم كالجاهل.

٦. وجاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»^(٤)

فدلَّ الحديث على أن منزلة الأم في البرِّ أعلى من منزلة الأب، وكلاهما على درجة عالية من البرِّ. فعظَّم منزلة الوالدين على مَنْ سواهما، وعظَّم منزلة الأم على منزلة الأب في البرِّ.

٧. وقال النبي ﷺ عن رجل سيئ العشرة: "بئس أخو العشيرة"، فحذَّر منه وأنزله منزلته اللائقة به.^(١)

^١ [يوسف: ٧٦]

^٢ [الحجرات: ١٣]

^٣ أخرجه أحمد: (٦٧٣٣)، والترمذي: (١٩١٩)، وأبو داود: (٤٩٤٣).

^٤ أخرجه البخاري: (٥٩٧١)، ومسلم: (٢٥٤٨).

إذن حقوق الناس تختلف، وتتفاضل، فحقّ المسلم أعظم من حقّ الكافر، وحقوق المسلمين تتفاضل، فأعلى الحقوق. بعد الرُّسُل والأنبياء والصّحابة. حقّ الوالدين، وحقّ العالم، وحقّ وليّ الأمر المسلم، وحقّ الكبير في السن، قال ﷺ: "كَبْرُ كَبْرٍ".⁽²⁾

فالأكبر في الفضل والعلم والسن له منزلة أعلى، مع حفظ منزلة الأصغر. فلا يفهم أحدٌ أن المراد ازدراء الصغير في السن أو العلم! بل المقصود أن لا يُعامل الكبير كالصغير، وأن لا يُعامل العالمُ مثل عامّة المسلمين. فالواجب أن يُعطى كلُّ ذي حقٍّ حقّه، أي: في المعاملة، وفي أسلوب الخطاب، وفي إعطائه حقّه.

وإنّ من هدي النّبي ﷺ أنه كان يعاملُ الناس ويخاطبُهم بحسب حالهم، من غير ازدراء لأحد ولا ظلم لأحد. ومن ذلك؛ أنه كان يشدد على علماء الصحابة أكثر من غيرهم، لأنهم لا يُتَوَقَّع منهم النفور:

- فقد شدّد على معاذ لما أطل في القراءة في الصلاة.
 - وشدّد على أسامة بن زيد لما قتل رجلاً في الحرب مُتَأَوِّلاً.
 - وشدّد على أبي ذرٍّ لما عَيَّرَ بلالاً بأمه.
 - وشدّد على أبي مسعود البدي لما كان يضرب غلاماً له.
- ولكنه ﷺ كان في غالب أحواله ليناً رفيقاً مع عامة المسلمين، خصوصاً مع الأعراب البعيدين عن المدينة وعن العلم:
- كالأعرابي الذي بال في المسجد، وكلنا يعرف قصته، فرفق به النبي ﷺ وعَلَّمَه.⁽³⁾ وأيضاً قصة معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه، عند مسلم: (٥٣٧)، لما تكلم في الصلاة، فرمّقه الناس، ورفق به الرسول ﷺ وعَلَّمَه.
- ومن هديّه عليه الصلاة والسلام الصَّفْح عن الكبير إذا زلّ وأخطأ:

¹ أخرجه البخاري: (٦٠٣٢، ٦٠٥٤، ٦١٣١)، ومسلم: (٢٥٩١).

² البخاري: (٣١٧٣)، ومسلم: (١٦٦٩).

³ أخرجه البخاري (٦٠١٠، ٦٠٢٥، ٦١٢٨)، ومسلم (٢٨٤).

قال ﷺ: "أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتَهُمْ إِلَّا الْحُدُودَ".⁽¹⁾

قوله: "أَقِيلُوا": من الإقالة، وهي الصَّفْح وتَرْك العقوبة.

"ذَوِي الْهَيْئَاتِ": أي ذَوِي الشَّرَف والسيادة، والذين لَا يُعْرِفُونَ بِالْشَّرِّ.

"عَثَرَاتِهِمْ": أي زَلَّاتِهِمْ، وَالزَّلَّةُ هِيَ: فِعْلٌ مَا لَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ.

"إِلَّا الْحُدُودَ": أي؛ لَكُنْ الْحُدُودَ يَعَاقِبُونَ بِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ.

- وَكَانَ ﷺ يَتَعَامَلُ مَعَ الْوُفُودِ بِحِفَاوَةٍ وَاهْتِمَامٍ، وَكَانَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْحَسَنَةَ لِاسْتِقْبَالِهِمْ،

وَهَذَا دَاخِلٌ فِي إِنْزَالِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ فِي الْحِفَاوَةِ وَالِاسْتِقْبَالِ.

- وَكَانَ إِذَا خَاطَبَ مَلُوكَ الْعَجَمِ يَقُولُ: "إِلَى هِرْقُلَ عَظِيمِ الرُّومِ".⁽²⁾ وَمَعَ غَيْرِهِ مِنْ مَلُوكِ

الْعَجَمِ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ فِي مَخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْكَبَارِ عِنْدَ أَقْوَامِهِمْ.

- وَكَانَ يُدَاعِبُ الصِّغَارَ وَيُضَاحِكُهُمْ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْجَاهِلِ وَيَتَبَسَّمُ فِي وَجْهِهِ. وَكَانَ يَشْعُرُ كُلَّ

مَنْ يَعَامِلُهُ أَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وهكذا هدي أصحابه من بعده:

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان في المسائل الكبيرة يستشير الصحابة، ويُرتَّبهم

بحسب فضائلهم، فيقدم المهاجرين ثم الأنصار، ويقدم أهل بدر وهكذا. وكان يختار للوظائف

والولايات الأفضل لها. فهذا من إنزال الناس منازلهم في المشورة والولايات.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ؟)⁽³⁾

فهذا من إنزال الناس منازلهم في التعليم، وفي الخطاب، وهذا من الحكمة.

¹ أخرجه أبو داود: (٤٣٧٥)، وانظر الصحيحة للألباني: (٦٣٨).

² أخرجه البخاري: (٧) ومسلم: (١٧٧٣).

³ أخرجه البخاري (١٢٧) وَتَوَبَّعَ عَلَيْهِ فَقَالَ: (بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كِرَاهِيَةً أَلَّا يَفْهَمُوا). انتهى.



فهذا الأصل نافعٌ جدًّا في أداء الحقوق، وفي مراعاة الحكمة في معاشرَة الناس ومخالطتهم، وطريقة مخاطبتهم، وفي تعيين الوظائف والولايات، وفي معاملة أهل الخير والفضل، وفي معاملة أهل البدع والشر، وأصحاب المعاصي والفجور، فيُعَامَلُ كُلُّ بِحَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ. وهكذا؛ نجد أن إنزال الناس منازلهم أصل صحيح دلّ عليه الكتاب والسنة وهدي الرسول والصحابة.

فإنَّه من الحكمة؛ لأنَّه مِنْ وَضْعِ الشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ. وإنَّه أَيْضًا مِنَ الْعَدْلِ؛ لأنَّه مِنْ إِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

فهو أصل جامع لمسائل كثيرة ومتنوعة في التعامل مع الناس وإنزال الناس منازلهم.



«شرح الحديث السادس عشر»

قال المؤلف رحمه الله: (عن أبي صِرْمَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ. وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ» رواه الترمذي وابن ماجه⁽¹⁾).

صحابي الحديث هو أبو صِرْمَةَ. بكسر الصاد وإسكان الراء.
والصِرْمَةُ في اللغة هي القطيع من الإبل نحو الثلاثين.
والصِرْمَةُ أيضاً: القطعة من السحاب.

هو أبو صِرْمَةَ المازني الأنصاري، صحابي شهد بدرًا وما بعدها، وكان شاعرا رضي الله عنه، واختُلف في اسمه على أقوال.
وهذا الحديث في إسناده مقال، وعلى كل حال معناه صحيح، يشهد لمعناه عدد من الأحاديث، منها:

١. حديث "لا ضرر ولا ضرار".⁽²⁾

٢. وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».⁽³⁾

٣. وقوله ﷺ: "مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقْ يُشْقُقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".⁽⁴⁾

فحديث الباب وهذه الأحاديث ونظائرها، تدل على معنيين صحيحين هما:

- الأول: "تحريم الضرر لغير المستحق".
- الثاني: "أن الجزاء من جنس العمل".

¹ رواه أحمد (١٥٧٥٥)، وأبوداود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠) وحسنه، وابن ماجه (٢٣٤٢)، وحسنه الألباني في 'صحيح الجامع' (٦٣٧٢).

² ابن ماجه (٢٣٤٠) وغيره.

³ مسلم (١٨٨٢).

⁴ البخاري (٧١٥٢).

وهاتان قاعدتان من القواعد الكلية الجامعة في الشريعة، كما أفاد المؤلف رحمه الله في شرحه "بهجة قلوب الأبرار".

◊ القاعدة الأولى: - "تحريم الضرر لغير المستحق" لقوله في الحديث: "من ضارَّ ضارَّ الله به".

فالضرر كله مُحَرَّم إلا إذا وقع على وجه الجزء. فيَحْرُم الإضرار بالنفس وبالمسلم وبالكافر، حتى بالدواب، إلا ما جازت عقوبته شرعاً واستحق الضرر.

قال الشيخ السعدي في "البهجة": (فالضرر لغير المستحق لا يحل إيصاله وعمله مع الناس). هذا لأن إيذاء الضرر بغير المستحق شرعاً ظُلْمٌ، وأمّا إيذاء الضرر بمن يستحق فمن العدل؛ مثل ردِّ السيئة بمثلها، وردِّ العقوبة بمثلها، والقصاص. فكل ضرر غير مستحق مُحَرَّم؛ سواء كان يجلب ضرر إليه أو بتفويت مصلحة عليه.

فهذا باب واسع جداً، وقاعدة كلية يجب على المسلم أن يراعيها، وأن يحذر من الإضرار بالخلق؛ المسلم والكافر والحيوانات.

وحقّ المسلم أعظم الحقوق عند الله، ثم يتفاوت حق المسلم بحسب منزلته، كأن يكون أحد الوالدين، أو من الأقارب فله حقٌّ أعظم، فإن كان من الأرحام فحقُّه أعظم وأعظم، وإن كان من العلماء، أو من أولياء الله الصالحين، أو كان كبير السنّ، أو كان يتيماً... إلى غير ذلك من الأحوال، فيجب أن يُراعى هذا كله.

فالمسلم على المسلم كله حرام؛ دمه وماله وعرضه، فيجب على المسلم أن يمنع الضرر عن أخيه المسلم من جميع هذه الوجوه وما يتفرّع عنها، مُبتَغياً في ذلك وجه الله والدار الآخرة. فقوله ﷺ: "من ضارَّ ضارَّ الله به" كلام جامعٌ لحالات كثيرة جداً. وفيه وعيد شديد؛ بإيذاء الضرر به من الله عز وجل، إمّا في الدنيا، أو في الآخرة.

وقد ذكر الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه الكثير من الأمثلة، وأكثر ما يقع الضرر بين

الْخُلَطاء، من الأزواج، والإخوة، والجيران، والشركاء، وزملاء العمل، وفي الأسواق بأنواعها، وفي المساجد، وفي الطُرقات، وغير ذلك الكثير.

ويتضاعف الإثم إذا كان الإضرار من الكبائر: كالجور في الوصية، أو تزويرها، أو أكل أموال اليتامى، أو الاعتداء على الدماء، وغير ذلك من المحارم التي عظم الله حرمتها، وعظم عقوبتها. وقد فصل في ذلك الحافظ بن رجب رحمه الله في شرح الحديث "لا ضرر ولا ضرار" في كتابه 'جامع العلوم والحكم'، وقد تقدم شرحه لكم في "شرح الأربعين النووية"، وفي ذلك كفاية. والمقصود هنا أن نتعرف على هذا الأصل العظيم والقاعدة الجامعة وهي؛ "تحريم الضرر بغير المُستحق"، فهذه فائدة عظيمة نستفيد منها من هذا الحديث.

ولذلك فإن من قواعد الشرع المعتمدة: أن أحكام الشريعة مبنية على جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها.

وأيضا من القواعد المقررة: أن الله لم يكلف عباده بفعل ما يضرهم أبداً.

◇ القاعدة الثانية: - "أن الجزاء من جنس العمل".

دلّ الحديث بشقيه على هذه القاعدة، لقوله "من ضار ضار الله به"؛ فهذا فيه أن "الجزاء من جنس العمل".

وقوله "ومن شاق شق الله عليه". فيه أيضا أن "الجزاء من جنس العمل". وهذه القاعدة قاعدة كلية مقررة في الشريعة، ومعناها:

أن الجزاء الحسن يكون من جنس العمل الحسن، وأن الجزاء بالسوء يكون من جنس العمل السيئ، ما لم يكن الجزاء مُحَرَّمًا لذاته مطلقا في الشرع؛ كالزنا مثلا.

ودلّ على هذه القاعدة العديد من الأدلة، منها:

١. قوله ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»⁽¹⁾.

فنرى بوضوح من جُمْل هذا الحديث أن الجزء من جنس العمل، فهي كعلاقة الشرط بالمشروط.

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾⁽²⁾

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾⁽³⁾

٤. وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾⁽⁴⁾

٥. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾⁽⁵⁾

٦. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾⁽⁶⁾

٧. وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾⁽⁷⁾

والأدلة كثيرة جدًا على هذه القاعدة. والمراد أن الله يُعاملك كما تُعامل عباده، ويجازيك من جنس العمل الذي تعامله به.

٨. وقال النبي ﷺ: " مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشَقِقِ اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"⁽⁸⁾.

قوله: " مَنْ سَمِعَ " له معنيان:

¹ أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

² [الرحمن: ٦٠]

³ [النساء: ١٢٣]

⁴ [البقرة: ١٥٢]

⁵ [محمد: ١٧]

⁶ [محمد: ٧]

⁷ [البقرة: ٤٠]

⁸ أخرجه البخاري (٧١٥٢).

سَمَّعَ بعمله، أو سَمَّعَ بالمؤمن.

- المعنى الأول: (سَمَّعَ بعمله)، أي سَمَّعَ الناسَ بعبادته، أراد أن يسمع الناسُ بعبادته ليُثَنُّوا عليه، فأراد الذِّكرَ الحسنَ بعمل الآخرة، وهذه نيَّةٌ فاسدة، فيُجازيه الله من جنس عمله، أراد الشهرة والسمعة فيشهر الله به ويُسمِّع به؛ أي يُظهرُ سريره ويفضحه يوم القيامة.
- المعنى الثاني: (سَمَّعَ بمؤمنٍ)، أي أذاع عيوبه، وتتبع عورته، وفضحه بين الناس، فيجازيه الله من جنس عمله فيُسمِّع الله به ويفضحه يوم القيامة.

ومن المعلوم أنَّ من يفضحه الله يوم القيامة ويناقشه الحساب على رؤوس الخلائق؛ يُعَذَّبُ في جهنم والعياذ بالله.

فتناولَ هذا الحديثَ المُرائي بعمله، والمتتبع عورة مؤمن، وكلاهما على خطر عظيم؛ هو خطر الفضيحة يوم القيامة، والعذاب في جهنم، نسأل الله السلامة. قال ﷺ فيمن تتبع عورة أخيه: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضْ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».(1)

وهذا فيه الوعيد بالفضيحة في الدنيا، وهذا أهون من الفضيحة يوم القيامة.

والمخرج من هذا الشر كله في قوله ﷺ: «أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ».(2)

فمن عامل الناس بهذا الحديث عامله الله بما يحب، لأن الله يجازي من جنس العمل من خير أو شر، فمن عفا عن الناس عفا الله عنه وغفر له، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۚ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(3)

فدلَّ حديث الترجمة على ثلاثة معان:

- أن يحذر المسلم من الإضرار بالآخرين.

¹ أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني.

² أخرجه أحمد: (١٦٦٥٣، ١٦٦٥٥، ١٦٦٥٦، ٨٠٩٥)، والترمذي: (٢٣٠٥)، وابن ماجه: (٤٢١٧)، وانظر "الصحيحة" للألباني: (٧٢، ٩٣٠).

³ [النور: 22]

- وأن يحذر المسلم من المُشاقَّة، أي الشِّقاق، وهو الخلاف والنزاع.
- وأن يحذر المسلم من جلب المشقَّة على الناس.

وتحدثنا عن المعنى الأول فيما تقدم.

وأما المعنيان الآخران فدل عليهما قوله ﷺ:

"ومن شاق شق الله عليه".

قوله **"شاق"**: تحتل معنى الشِّقاق، وهو الخلاف. وتحتل ايضاً معنى المشقَّة.

المعنى الأول للمُشاقَّة هو الشِّقاق وهو الخلاف ومُشاقَّة الحق: أي أن يكون هو في شق والحق

في شق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽¹⁾

فهذه في تحريم مخالفة السنة وسبيل المؤمنين.

ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾⁽²⁾

وهذه في تحريم مُشاقَّة الله ورسوله، أي أن يكون هو في شقٍّ، والله ورسوله في شقٍّ.

هذا المعنى الأول للمُشاقَّة، وهو الشِّقاق والمخالفة، أي مخالفة أمر الله، ومخالفة السنة،

ومخالفة سبيل المؤمنين، فيشمل الشِّرك والبدع والمعاصي.

● المعنى الثاني للمُشاقَّة: المشقَّة، وهي: "حمل الناس على ما يضرهم ويشقُّ عليهم".

فإن الذي يخالف أمر الله ورسوله وسبيل المؤمنين سوف يوقع الضرر على الأمة أفراداً

وجماعة، ويجلب لهم العنت والمشقَّة.

بهذا يتبين لنا أن الحديث فيه وعيد شديد وتحذير شديد من أمرين:

الأول: من أسباب التفرُّق والاختلاف:

¹ [النساء: ١١٥]

² [الأنفال: ١٣]

كالشرك والبدع والمعاصي ومخالفة سبيل المؤمنين.

الثاني: من الأسباب الجالبة للمشقة والتعسير على المسلمين، وهذا يشمل كل من تولى ولاية من أمور المسلمين، من الولايات العامة أو الخاصة. فيجب عليه أن يرفق بمن ولّاه الله عليهم؛ كالأمير مع رعيّته، والوالدين مع أولادهم، والأزواج مع أزواجهم، والأئمة في مساجدهم، والمسؤول في عمله وهكذا.

فَمَنْ شَقَّ عَلَى النَّاسِ، شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَإِنَّمَا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّيسِيرِ وَالْإِتْلَافِ، وَبُنْدِ الْمَشَقَّةِ وَالتَّفْرِقِ وَالْخِلَافِ.

ومفهوم الحديث:

أَنْ مَنْ يَسِّرَ سِرَّ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ مَنْ تَرَكَ الشَّقَاقَ وَالْخِلَافَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَاسْتَقَامَ لَهُ شَأْنُهُ. وَكَانَ أَسْلَافُنَا الصَّالِحُونَ يَرْفِقُونَ بِمَنْ وَلَّاهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ مِنَ الْخِدْمِ وَالْمَوَالِي، حَتَّى مَعَ الدَّوَابِّ، وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثُ وَأَثَارٌ كَثِيرَةٌ.

وجاء في أخبار مَنْ سَبَقْنَا، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِينَ؛ وَهُمْ الَّذِينَ عَجَزُوا عَنْ سَدَادِ دِيُونِهِمْ فِي وَقْتِهَا، فَكَانَ يَقُولُ: تَجَاوَزُوا عَنْهُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَمَّا مَاتَ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ. (1) وَقَالَ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مِنَ السَّمَاءِ» (2)

فالواجب أن يتعامل المسلمون بالرحمة والرفق والنصح والمحبة، وأن يبتعدوا عن أذية الناس وضررهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (3).. وأكثر المسلمين اليوم بعيدون جدا عن هذه الأخلاق الحميدة، فيؤذي بعضهم بعضا بغير حق، والله المستعان.

فاشتمل هذا الحديث على أصول جامعة، يدخل تحتها:

- لزوم الاجتماع على الحق، والحذر من الشقاق والاختلاف والنزاع.

¹ أخرجه أحمد (٨٣٧٨، ٨٧٣٠، ٨٤٦٧) والنسائي (٤٦٩٤)، وصححه الألباني.

² أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وانظر "الصحيحة" للألباني (٩٢٢).

³ [الأحزاب: ٥٨]

- والحذر من أذى الناس والإضرار بهم.
- وأن الجزاء من جنس العمل، وأنه كما تُدين تُدان.



«شرح الحديث السابع عشر»

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الإمام أحمد والترمذي).⁽¹⁾

هذا حديث أبي ذرٍّ، وروي أيضا من حديث معاذ، كلاهما من طرق لا تخلو من ضعف، لكن الحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، وقد تلقاه أهل العلم بالقبول، لأنه حديث جامع لأصول وفروع كثيرة صحيحة دلّ عليها الكتاب والسنة في نصوص كثيرة. من هذه الأصول أنه جامع للحقوق، ففيه حقّ الله، وحقّ النفس، وحقّ العباد. فمن اعتنى بما فيه وعمل به، فقد أدّى جميع الحقوق، فهو وصية عظيمة نافعة جدًا.

وقد اشتمل على أربع جُمَل جامعة:

● الجملة الأولى: قوله " **اتَّقِ اللَّهَ** ". فأمره بالتقوى،

والتقوى في اللغة: من الوقاية،

فالمعنى: أن تتخذ بينك وبين عذاب الله وقاية، وذلك بامتنال المأمور واجتناب المحذور والتورّع عن الشهوات.

قال ابن الملقّن رحمه الله: (و"التَّقْوَى" لفظةٌ وجيزةٌ جامعةٌ لكلِّ خيرٍ دينيٍّ ودُنْيَوِيٍّ؛ لأنها: امتثالُ الأوامر واجتنابُ النَّوَاهِي).⁽²⁾

¹ رواه أحمد: (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والترمذي: (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح، والدارمي (٢٧٩١١)، وأبونعيم في "الحلية": (٤ / ٣٧٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٢٠١).

وحسنه الألباني في "المشكاة": (٥٠٨٣)، وفي "الروض النضير": (٨٥٥).

² "المعين على تفهّم الأربعين" لابن الملقّن (١ / ٢٤١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصف التقوى: (" اتقوا الله حق تقاته " قال: أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر).⁽¹⁾ فكلام ابن مسعود هذا في كمال التقوى، من حَقَّق هذا الأثر فقد كَمَّل التقوى.

وقال طلق بن حبيب رحمه الله: (التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ).

وهذا فيه العمل على بصيرة، والتزك على بصيرة، مع الإخلاص لله في العمل والتزك.

وقد وردَ كلام كثير عن السلف في التقوى، وكلها ترجع إلى العمل بطاعة الله، وترك ما نهى عنه الله، والتورع عن الشبهات.

فالتقوى حق الله على العباد، وأعظم حقٍّ لله: الإيمان به سبحانه وتوحيده، وطاعته، وطاعة رسله وتصديقهم فيما جاؤوا به، وهذه هي التقوى.

والتقوى وصية الله للأوليين والآخرين؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾⁽²⁾

ووصية رسوله فقال ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة"⁽³⁾

والتقوى لها ثمرات كثيرة وعظيمة، منها؛ أن المتقي وليُّ الله، وأن الله مع المتقين، وأن الله يجعل له من كل ضيق مخرجاً، وأن الله يحب المتقين، وأن أكرم الخلق عند الله أتقاهم لله، وأن المتقين لهم النجاة من النار، وأن الجنة أُعدَّت للمتقين، وغير ذلك من الفضائل الكثيرة التي وردت في الكتاب والسنة.

ومما ينبغي أن نعلمه أن أصل التقوى العلمُ النافع، والعلمُ النافع هو المثمر للعمل الصالح، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽¹⁾

¹ صحح هذا الأثر ابن كثير في تفسير آية (١٠٢ آل عمران).

² [النساء: ١٣١].

³ من حديث العرياض عند أحمد: (١٧١٤٤، ١٧١٤٥) وأصحاب السنن.

فالعالم يتقي الله ويخشاه، والجاهل يتجرأ على معصيته، فعاد الأمر إلى العلم النافع.

● الجملة الثانية: قوله "حيثما كنت"

هذه الجملة من جوامع الكلم، لأن معناها: اتق الله في السر والعلن. وهذا يشمل جميع أحوال الإنسان، وهذه هي مرتبة الإحسان والمراقبة، لأن التقوى بلا إحسان ناقصة غير كاملة، بل قد لا تنفع صاحبها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽²⁾

أي جمعوا بين التقوى والإحسان في أداء الفرائض وترك المحرمات.

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽³⁾

أي: من جمع بين التقوى والمراقبة استحيا من الله في السر والعلن، وهذه هي مرتبة الإحسان. فقوله ﷺ "حيثما كنت"؛ أرشده إلى إحسان التقوى؛ وذلك بالمراقبة، بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فمن عبد الله بالإحسان راقب الله، وإذا راقبه اتقاه حيثما كان، في السر والإعلان، في القوة والضعف، فإذا تمكّن من المعصية وقدر عليها ودعته نفسه إليها، منعه من ذلك نظر الله إليه، فيستحي من الله.

وإذا جاهر الفساق بفسقهم لا يجاملهم على فسقهم، فإن من الناس من يضعف إذا اختلط بالفساق فيجاملهم، ومن الناس من يضعف إذا خلا بمحارم الله، فينتهكها. قال جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟ فقال ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

فالإحسان أعلى مراتب الإيمان، وله ركن واحد هو "المراقبة".

والإحسان مرتبتان:

¹ [فاطر: ٢٨].

² [النحل: ١٢٨].

³ [النساء: ١].

- المرتبة الأعلى: أن تعبد الله كأنك تراه.

ومن المهم جدًا التَّفَقُّه في هذه المسألة، لأن هذا باب يدخل منه الشيطان على العبد التَّقِي؛ الجاهل بهذه المسألة، فإذا وقع التَّقِي في معصية قَنَطَهُ الشيطان، وجَعَله يتمادى في المعاصي، ويغلق أمامه باب الرجاء وباب التوبة، ويُعْظَم شأن المعصية التي وقع فيها، مع أنها قد تكون من الصغائر. يُعْظَم له المعصية حتى يظن أنها لا تغفر، وحتى يترك الطاعات التي هو عليها، فيُصَوِّرُ له أن هذه الطاعات لا تُقبل مع هذه المعصية، وأن هذا من النفاق... وهذا كله باطل، وما هو إلا وسوسة من الشيطان.

والواجب أن نعلم أن التَّقِي ليس معصوماً، فيجب عليه أن يستقيم، وإذا عصى فيجب عليه أن لا يقنط من رحمة ربه، بل يبادر بالتوبة، ويستغفر الله، وأن يستكثر من الحسنات الماحية، فإن الحسنات تمحو السيئات، كما قال هنا:

"وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا".

قوله: **"تَمْحُهَا"** أي؛ تغفرها، أي لا يؤاخذ العبد عليها. ولكن المراد بالسيئة هنا: الصغائر.

فالحسنات تمحو السيئات الصغيرة، ولو لم يَثْب منها، أما الكبيرة فلا تمحوها الحسنات، الكبيرة لا بد لها من توبة صادقة بشروطها الخمس. فإن مات وهو مُصِرٌّ على كبيرة، فتوزن حسناته بسيئاته الكبيرة التي مات عليها، فحينئذ تذهب الكبائر بما يقابلها من حسنات، فلا تبقى له تلك الحسنة، ولا تبقى عليه تلك الكبيرة، فتذهب الكبيرة بما يساويها من حسنات. وكثير من الناس اليوم يُسْرِفون في الكبائر، ويقولون (إن الحسنات يذهبن السيئات) هكذا بإطلاق، وهم مُصِرُّون ولا يتوبون حتى يدركهم الموت، وهذا خطأ كبير في فهم معنى هذا الحديث، فالكبيرة لا بد لها من توبة، فإذا مات عليها، فإن الكبائر تأكل من حسناته بعددها وقدرها. فإن سلِّمت له حسنات راجحة على سيئاته دخل الجنة، وإلا فالنار والعياذ بالله. إذن خلاصة القول: أن قوله **"تَمْحُهَا"** معناه أن الحسنة تمحو السيئة الصغيرة، أي تغفرها، هذا كقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُوهَا بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾⁽¹⁾ قال القرطبي: (يدفعون بالعمل الصالح السيئ من الأعمال، قاله ابن عباس) وهذا عام يشمل كل عمل صالح.

¹ (الرعد: ٢٢) (القصص: ٥٤)

ومن المفسرين من خصصه بمقابلة المعاملة السيئة بالمعاملة الحسنة، ولا تعارض، فذاك عام وهذا داخل فيه.

فما هي الحسنة؟

قال الشيخ السعدي في 'البهجة': (الحسنة هي اسم جامع لكل ما يقرب الى الله تعالى).

وعليه فيدخل في الحسنات: التوبة، والعمل الصالح، فالتوبة تمحو الكبيرة، والعمل الصالح يمحو الصغيرة ولو بدون توبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في محو السيئات، قال: (وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ الْمُقْتَصِدِ وَالسَّائِقِ قَدْ يَكُونُ لَهُ ذُنُوبٌ؛ تُمَحَّى عَنْهُ: إِمَّا بِتَوْبَةٍ - وَاللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ - وَإِمَّا بِحَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ وَإِمَّا بِمَصَائِبٍ مُكْفِّرَةٍ وَإِمَّا بِغَيْرِ ذَلِكَ.) انتهى⁽¹⁾.

قوله (وإما بغير ذلك): كعذاب القبر، وشدة الموقف يوم القيامة، وشفاعة المؤمنين، وشفاعة

الرسول ﷺ، ورحمة الله وعفوه... وغير ذلك.

إذن؛ فمن قرّن بين التوبة من الكبائر والعمل الصالح؛ ذهب سيئاته كلها، صغيرها وكبيرها، وهذا كقوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾⁽⁵⁾.

¹ "الفتاوى" (١٠ / ٦)

² [مريم: ٦٠].

³ [طه: ٨٢].

⁴ [الفرقان: ٧٠].

⁵ [القصاص: ٦٧].

فقرن في هذه الآيات بين التوبة والعمل الصالح، لأنه لا بد من التوبة من الكبيرة لمحوها؛ ولا بد من عمل الصالحات لمحو الصغيرة؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها، فتذهب السيئة بحسنة وتبقى تسع حسنات.

والتوبة: هي (ترك الإصرار)،

وشروطها خمسة معلومة: الإخلاص، والتَّرك، والندم، والعزم على ألا يعود، وردّ الحقوق. ومن فضائل التوبة: أن الله يبدل بفضل السيئات إلى حسنات، لأن التائب يترك الذنب لله، وهذه حسنة.

فكلما ترك ذنباً لله صار حسنة في حقه.

● وما هو العمل الصالح الذي يمحو الصغائر؟

وردَ في ذلك أحاديث كثيرة؛ منها:

١. الوضوء والصلاة: قال ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا

نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».(1)

٢. وثبت في الصحيحين: "أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فجاء نادماً تائباً إلى النبي ﷺ فأخبره،

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ

ذَلِكَ ذِكْرُى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (2) (3)

٣. وقال ﷺ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ

الرَّبَاطُ» (4)

٤. ومن الأعمال الصالحة التي يمحو الله بها الخطايا: الزكاة، والصدقات عموماً، والصيام،

والحج، وذكر الله، وبرّ الوالدين، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

¹ البخاري (١٥٩، ١٦٤، ١٩٣٤، ٦٤٣٣) ومسلم (٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩).

² [هود: ١١٤].

³ البخاري (٥٢٦، ٤٦٨٧)، مسلم (٢٧٦٣).

⁴ (مسلم ٢٥١).

والكفّارات المُقدَّرة، وتعلُّم العلم، وتعليمه، وكذلك أعمال القلوب من التوحيد والإخلاص والتوكل والرغبة والرغبة، وغير ذلك من أداء الفرائض واجتناب المحرّمات. والمقصود:

أن محو جميع السيئات لا يكون إلا بالتوبة من الكبائر، وبالإكثار من الأعمال الصالحة، التوبة تمحو الكبيرة، والأعمال الصالحة تمحو الصغائر. فمن فعل ذلك فقد نصح نفسه، وأدّى حقها، وهذا من حقّ الله عليه أيضاً.

● الجملة الرابعة: قوله " **وخالق الناس بخلق حسن** ".

هذا حق العباد، فالتّقي حقاً يؤدي حقوق الناس الواجبة عليه، ولا يظلمهم، بل ويحتمل الأذى منهم، ويخالقهم بخلق حسن.

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله لما سُئِلَ عن حُسْن الخُلُق: (كفُّ الأذى، وبذل المعروف، وبسط الوجه، وأن لا تغضب).⁽¹⁾

فهذا كلام جامع لحُسْن الخُلُق.

وقال غيره: (أن تُعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به). وروي بهذا المعنى أحاديث.

والمراد أنه لا تكتمل التقوى إلا بالخلق الحسن مع الناس، حتى لا يتوهّم أحد أن التقوى هي القيام بحق الله فقط، ذلك أن سوء الخُلُق باب من أبواب السيئات والمعاصي، ولا يكتمل إيمان المؤمن إلا بسد هذا الباب، ولا يتحقق ذلك إلا بالخلق الحسن.

- قال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".⁽²⁾

- وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا».⁽³⁾

- وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا،...».⁽⁴⁾

- وقال ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ".⁽¹⁾

¹ أخرجه المروزي في 'تعظيم قدر الصلاة': (٨٦٣/٢) حديث رقم (٨٧٥).

² أبوداود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

³ البخاري (٣٥٥٩، ٣٧٥٩، ٦٠٢٩)، ومسلم: (٢٣٢١).

⁴ الترمذي (٢٠١٨)، والصحيحة (٧٩١).

- وقال: "ما مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ" (2)

وَمِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يُجَازِيَ عَلَى السَّيِّئَةِ بِالسَّيِّئَةِ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيُحْسِنُ، وَهَذَا مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (3)

فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْمَسِيءِ مِنْ كَمَالِ التَّقْوَى.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ (4)

فَحُسْنُ الْخُلُقِ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، كَمَا تَغْفِرُ لِلنَّاسِ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، لِأَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ جَامِعَةٌ نَافِعَةٌ، وَلَا يَبْلُغُ هَذِهِ الدَّرَجَةَ إِلَّا مَنْ بَلَغَ دَرَجَةَ الْإِحْسَانِ، فَالْمُحْسِنُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ بِالتَّقْوَى وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؛ وَالْمُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ بِتَرْكِ الْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ وَبِالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الْحَسَنَاتِ؛ وَالْمُحْسِنُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ بِحُسْنِ أَخْلَاقِهِ؛ هَذَا قَدْ حَازَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ وَنِظَائِرُهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَكَمَّلَ التَّقْوَى.

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ الْهَدْيَ وَالتَّقَى، وَأَنْ يُبَلِّغَنَا دَرَجَةَ الْإِحْسَانِ.. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



¹ أحمد (٦٦٤٨، ٢٤٣٥٥، ٢٤٥٩٥، ٢٥٥٣٧)، وأبوداود (٤٧٩٨)، الصحيحة (٧٩٥، ٥٢٢).

² أبوداود (٤٧٩٩).

³ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

⁴ [النور: ٢٢].

أسئلة الدرس السابع:

السؤال الأول: حديث "أنزلوا الناس منازلهم" ضعيف، لكنه يتضمن معنى صحيحا.

١ - ما هو هذا المعنى؟

٢ - وما الدليل على أنه صحيح المعنى؟

٣- ما فوائد هذا المعنى؟

الجواب:

١-معناه: أن الناس يتفاضلون في حقوقهم، وفي طريقة التعامل معهم، وذلك راجع إلى منزلة كل منهم، والمراد أن يعطى كل ذي حق حقه.

٢ - والدليل على صحة هذا المعنى: الكتاب والسنة وهدى الصحابة،

قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: 3]،

وقال عليه الصلاة والسلام: «كَبَّرَ كَبْرُ» ،

وقال سلمان: "فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ" وَقَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

٣- وفائدته أنه من الحكمة والعدل.

أما كونه من الحكمة: لأنه من وضع الشيء في محله المناسب؛ في التعامل، والخطاب، والتعليم، والتوقير، والطاعة... وغير ذلك.

ومن العدل: لأنه من إعطاء كل ذي حق حقه.

السؤال الثاني: حديث: "مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ" اشتمل على قاعدتين

جامعتين، ما هما؟

الجواب:

القاعدة الأولى: تحريم الضرر بغير المستحق.

القاعدة الثانية: أن الجزاء من جنس العمل.

السؤال الثالث: اشرح القاعدتين بإيجاز.

الجواب:

- شرح الأولى: تعني أن الضرر بأي إنسان محرم، المسلم والكافر، سواء كان ذلك بجلب ضرر عليه، أو بتفويت مصلحة عليه، إلا من استحق ذلك بدليل شرعي.

- شرح الثانية: أي أن الجزاء يقع على العبد بحسب عمله، إن كان خيرا فيجزي بخير من جنس عمله، وإن كان شرا فيجزي بشر من جنس عمله، جزاء وفاقا، وكما تدين تدان، أي كما تجازي تجازي.

السؤال الرابع: اشرح بإيجاز: "من شاق شق الله عليه".

الجواب:

شاق لها معنيان: الشقاق، والمشقة.

الأول: الشقاق أي الخلاف. لقوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول..) أي الرسول في شق وهو في شق مخالف له. ومعنى الآية تحريم مخالفة السنة وسبيل المؤمنين.

المعنى الثاني: المشقة وهي: "حمل الناس على ما يضرهم ويشق عليهم".

وجزاء كل منهما أن الله يشق عليه أي بالعذاب وغيره.

وفي هذا الحديث:

التحذير من التفرق والابتداع ومخالفة السنة وسبيل الصحابة.

والتحذير من كل ما يجلب المشقة والعنت والتعسير على المسلمين في الولايات الخاصة والعامة.

السؤال الخامس: اشرح بإيجاز قول النبي ﷺ: "اتق الله حيثما كنت".



الجواب: التقوى في اللغة من الوقاية أي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية. والتقوى في الشرع هي: "امتنال المأمور واجتناب المحذور والتورع عن الشهوات". هذا حق الله على العباد، وهو أن يوحده في العبادة ويطيعوه فيما أمر وينتهوا عما نهى عنه وزجر، وأن يصدقوا رسله ويطيعوههم. وقوله: "حيثما كنت" أمر بالإحسان في التقوى، وذلك بالمراقبة وهي: "أن تعبد الله كأنك تراه، وأنت حقيقة لا تراه لكنه يراك"، فهذه مرتبة الإحسان ولها ركن واحد هو المراقبة، والمراقبة مرتبتان: - المرتبة الأعلى: "أن تعبد الله كأنك تراه رأي العين". - والأدنى: "أن تعبد الله وهو يراك".

السؤال السادس: اشرح بإيجاز قول النبي ﷺ: "أتبع السيئة الحسنة تمحها".
الجواب:

السيئة: تشمل الصغيرة والكبيرة. والحسنة: هي "اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله" وهذا التعريف يشمل التوبة والعمل الصالح. والتقي ليس معصوما من المعصية، والواجب عليه أن يتوب لمحو الكبيرة، وأن يعمل صالحا لمحو الصغيرة. ذلك أن الكبيرة لا تمحوها إلا التوبة الصادقة، وأن الصغيرة يمحوها العمل الصالح؛ كالوضوء والصلاة وكثرة الخطى إلى المساجد... وغير ذلك.

السؤال السابع: عرف حسن الخلق.

الجواب: هو "كف الأذى، وبذل المعروف، وبسط الوجه، وأن لا تغضب" أو هو: "أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به".

■ ■ والحمد لله رب العالمين ■ ■